

استخدام الحالات المختلفة للفن البلاغي «آيروي» في نهج البلاغة

محمد عترت دوست^{1*}، حسن زرنوشه فراهاني²

تاريخ القبول: 1444/07/04

تاريخ الاستلام: 1443/10/09

1. أستاذ مساعد، قسم أصول الدين والدراسات الإسلامية، جامعة الشهيد رجائي لإعداد المعلمين، طهران، إيران
2. أستاذ مساعد، قسم أصول الدين والدراسات الإسلامية، جامعة الشهيد رجائي لإعداد المعلمين، طهران، إيران

Types of Using "Irony" Rhetorical Technique in Nahj al-Balaghah

Mohammad Etrat Doost^{*1}, Hasan Zarnosheh Farahani²

Received: 2022/05/11

Accepted: 2023/01/26

1. Assistant Professor of Theology and Islamic Studies, Shahid Rajaei Teacher Training University, Tehran, Iran
2. Assistant Professor of Theology and Islamic Studies, Shahid Rajaei Teacher Training University, Tehran, Iran

10.30473/anb.2023.66434.1347

Abstract

One of the aspects of the miracles and eloquence of Imam Ali's (a. s.) words is their multidimensionality, which means that they have both literary and rhetorical arrays and also have multiple meanings in different and opposite fields of meaning an example of the intersection of these two characteristics can be seen in the use of the rhetorical art of "Irony", which some have considered to be an inversion of the meaning of the word. What is more important in this rhetorical technique is the placement of two contrasting semantic-verbal elements next to each other to surprise the audience and at the same time, inducing an important message. In this article, while providing a precise definition of ironic rhetorical art, by identifying examples of its manifestation in Nahj al-Balagha sermons and conceptually analyzing why it is used, another manifestation of the verbal and semantic miracle of Imam Ali's speech has been brought into attention. and also reread another literary craft used in Nahj al-Balagheh. The findings of the research show that the ironic art has been widely used in Nahj al-Balaghah in both verbal and structural ways, examples of which are: expressing seemingly contradictory sentences, striking and domineering words, and deliberate concealment, self-praise, backbiting, and conscious ignoring. and equating two disparate things.

Keywords: Nahj al-Balagha, Imam Ali (AS), Rhetoric, Irony, Inversion of Meaning.

الملخص

من وجوه إعجاز كلام الإمام علي (ع) وبلاغته؛ أنه ذو أبعاد مختلفة، بمعنى أن كلماته، مع امتلاكها فنوناً ومضامين أدبية وبلاغية متنوعة، فقد تجلت في مجالات مختلفة وحتى متعارضة من ناحية المعنى، وصار لها استعمالاً معنوياً مزدوجاً مضاعفاً. وبإمكاننا أن نرى هاتين الخاصيتين المميزتين، في استعمال صنعة «آيروي» البلاغية، التي يعتبرها البعض «قلباً» لمعنى الكلمة. الأمر الأكثر أهمية في هذه الصنعة هو وضع عنصرين متضادين من ناحية اللفظ والمعنى بجانب بعضهما البعض، وذلك بغرض مفاجأة الجمهور وإيصال رسالة مهمة. يسعى هذا المقال أن يقدم تعريفاً دقيقاً لهذا الفن البلاغي «آيروي» من خلال تحديد أمثلة على تجلياته في خطب نهج البلاغة وتحليل سبب استخدامه، كما يحاول أن يعالج مظهر آخر من مظاهر الإعجاز اللفظي والدلالي لكلام الإمام علي (ع)، وذلك بإعادة القراءة لصنعة بلاغية أُستُخدمت في نهج البلاغة. وتبيّن نتائج البحث أن فن «آيروي» قد كُثرت حالات استخدامه في كلام الإمام علي (ع)، ومن هذه الحالات: التعبير عن الجمل المتناقضة، والألفاظ القاسية، والإخفاء المتعمد، ومدح النفس، والتنبؤ عن الغيب، والتجاهل المتعمد، والتساوي بين الشئيين المتباينين.

الكلمات الدلالية: نهج البلاغة، الإمام علي (ع)، البلاغة، آيروي، قلب المعنى.

عرض المشكلة

يُعَدُّ صنعة «آيروني» من الصنائع البلاغية التي حظيت باهتمام قليل من قِبَل الباحثين، ويرى البعض أنها تنطبق على عدَّة صنائع أدبية، مثل: الكناية، والاستعارة، والكوميديا، والسخرية، والاستهزاء، والتهكُّم، وغيرها، إلا أنَّ هذا الفن البلاغي لا تتوافق تمامًا مع أيِّ من هذه الصناعات الأدبية، كما أنَّ الصنائع المذكورة لا تغطي مدلولات هذه الصنعة، لذلك لا بد من القول إن صنعة آيروني أشمل معنىً وأوسع دلالةً من غيرها من الصنائع الأدبية التي تمَّ ذكرها قبل قليل.

ففي اللغة «الأيرونية» يستطيع الإنسان أن يحتجَّ وراء كلامه ويعبِّر عن نواياه الحادة والانتقادية، دون أن يتعرض للسب والطعن. لذلك، يرى اللغويون أن استخدام هذا الأسلوب يمكن رؤيته كثيراً في الفترات التي يهيمن فيها الاختناق على المجتمع. وبشكل عام، تستخدم لغة السخرية والفكاهة غالباً في الأوقات التي لا يستطيع فيها الإنسان أن يتحدث بشكل مباشر وأن يعبِّر عن آرائه ذات الأبعاد المتعددة، الآراء التي تكون أحياناً ذات معاني مختلفة ومتناقضة.

كما أن فترة حكومة الإمام علي (ع) كانت فترة مليئة بالصراعات الدينية والسياسية، وبعد ٢٥ عاماً من الظلم والإقامة الجبرية في المنزل، أخذ الإمام على عاتقه المسؤولية الجسيمة في إدارة المجتمع وتعيين ولاية الحكومة وتقسيم الخزانة. ومن ناحية أخرى، كان لديه أعداء أذكياء يجب أن يُعرَفهم بكلماته العميقة، دون الإشارة إليهم بشكل مباشر.

بناءً على هذا، فقد تمت في هذا البحث، دراسة حالة خطاب الامام علي في نصح البلاغة كنموذج بارز للنثر العربي، وحاولنا أن ندرس استخدام أنواع من هذا الفن الأدبي والبلاغي [آيروني] في هذا الكتاب القيم. لذلك، فإنَّ السؤال الرئيسي للبحث عبارة عن «ما هو النوع الذي أُسْتُخِدِم من الـ«آيروني» في نصوص نصح البلاغة؟ وما هو غرض الإمام علي (ع) من استخدام هذا الأسلوب الأدبي؟»

خلفية البحث

رغم إجراء العديد من الأبحاث حول تقديم فن «الآيروني» الأدبي والبلاغي، واستخدامه في القصائد والروايات الفارسية، إلا أنه لا بد من القول أنه في مجال علوم القرآن والحديث وتحليل النصوص الدينية، لم يُنْتَبَرْ إلى هذا الفن البلاغي، ولسوء الحظ، لم يتم إجراء سوى القليل من الأبحاث في هذا المجال حتى الآن.

على سبيل المثال، فيما يتعلق بتقديم صنعة «آيروني» الأدبية والبلاغية، يمكننا أن نشير إلى هذه الأبحاث: زهرا بمره مند في موضوع «آيروني واختلافها مع الفكاهة والصنائع البلاغية المشابهة» (ش ١٣٨٩)، غلام رضا أصفهاني في موضوع «المستويات الثلاثة من سخرية سقراط في حوارات أفلاطون» (١٣٩٧) وأغازينالي وآغا حسيني مع موضوع «مقارنة تحليلية لـ[آيروني] والسخرية في الأدب الفارسي والإنجليزي» (١٣٨٧).

وفما يتعلق بتطبيق هذا الفن الأدبي في أشعار الشعراء الإيرانيين والنصوص القصصية، يمكننا الرجوع إلى أعمال: خائفى وتقى بور بعنوان «الجوانب الأيرونية في المجلس السبعة للمولوي ومعارف بهاء ولد» (١٣٩٥ ش). أحمدي وشفعي آكردي بعنوان «دراسة وتحليل الأنواع البارزة لاستخدام الآيروني في المثنوي» (١٣٩٦ ش) وشمس الحاجية الأردلاني بعنوان «تجليات الآيروني في شعر حافظ» (١٣٩٥ ش). ففي جميع هذه الأعمال، تمَّ تعريف هذه الصنعة الأدبية والبلاغية، كما قام الباحثون إلى دراسة وتقييم الأنواع المستخدمة من هذا الفن في القصائد والنصوص الأدبية القديمة.

ما هو المقصود من «آيروني»

إنَّ الـ«آيروني» باعتباره أداة بلاغية، التي تخلق الفضاء والأجواء وتنقل المعنى والمحتوى، هي كلمة ذات خلفية قديمة تحدث عنها علماء البلاغة كثيراً. وقد وضعه منظِّروا القرون الوسطى في خانة التمثيل، وهو ما يعني أن هناك شيئاً يقال ولكن المقصود شيئاً آخر. (يُرجَع: مكاريك، ١٣٨٨ ش، ص ١٤-١٦).

ظهرت كلمة «آيروني» أول مرة في كتاب «جمهور» لأفلاطون، ويبدو أنها تعني «خداع الآخرين بالثرثرة

يحدث على مستوى المفردات وفيه يختلف المعنى المقصود للمتكلم تماما عن المعنى الضمني. (أبرامز، ١٣٨٠، ص ١٠٠). ففي آبيروني الكلامي، إنّ المعنى والمفهوم الذي يشير إليه المتحدث سيكون مختلفاً عن المعنى الذي يتم التعبير عنه ظاهرياً، لأنّ التعبير بالآبيروني عادة ما يكون له تفسير واضح وجليّ لموقف أو تقييم. (أوشه، ١٣٧٠، ص ١٦). فاستعاره التهكمية أو المجاز بعلاقه التضاد تندرج تحت هذا النوع من الآبيروني وله الأقسام التالية:

الف (١) آبيروني الرومانسية

عندما يتظاهر المتحدث بأنه يكون سعيداً وخالٍ من الهموم ويصور الواقع كأنه هو ولعب، فعند ذلك يتم إنشاء «آبيروني الرومانسية». وهذا النوع من السخرية يكون لفظياً، ولكنه في أغلب الأحيان يكون نصف خفي، لأنه ينبغي البحث عنه في الفرق بين اللهجة وطريقة التعبير. (مقدادي، ١٣٧٨، ص ٣٢).

الف (٢) آبيروني السقراطية

هذا النوع من الـ«آبيروني» مأخوذة من محاورات سقراط وطريقة تدريسه. وتشير «آبيروني السقراطية» إلى الفرق بين الجهل الظاهري والذكاء الداخلي في الشخصية الخيالية، وغالباً ما تكون من النوع اللفظي والسري. وفي هذا النوع من الـ«آبيروني» يكون التجاهل على طريقة الحوارات السقراطية (نبي زاده، ١٣٦٨، ص ٢٢).

آبيروني الهيكلية أو البنيوية

إنّ «آبيروني الهيكلية أو الوضعية» يقع ضمن القصة أو العرض. في هذه الطريقة، بدلاً من استخدام الكلمات المتضادة، يقوم المؤلف بتضمين شبكة مفهومية في بنية العمل، مما يجعل العمل بأكمله تحت تأثير التباين والازدواجية والغموض. (أنوشه، ١٣٧٠، ص ١٦). فالآبيروني الهيكلية لها الأنواع التالية:

ب (١) آبيروني التمثيلية أو الدرامية

تنشأ الآبيروني التمثيلية أو الدرامية عندما تكون الشخصية الخيالية غير واعية بالحقائق التي يعرفها القارئ والكاتب،

والدسمة» (موكه، ١٣٨٩، ص ٢٥).

حسب اعتقاد علماء البلاغة الرومانية خصوصاً «سى سرو» و«كوثينتيان» فإنّ «آبيروني» فنّ بلاغي وأسلوب محادثة، تختلف فيه الكلمات والمعاني غالباً (آقا حسيني وزينالي، ١٣٨٧، ص ١٠٢).

وتُعرّف «آبيروني» في معجم مصطلحات النقد الأدبي على النحو التالي: «إنّ آبيروني حالة من التعبير في أشكال مختلفة من السرد الغنائي أو القصة، والتي تقدم في جوهرها مفهوماً منفصلاً وأحياناً عكس المعنى الظاهر. كما أعطى مرور الزمن وتطوراتها نطاقاً خاصاً لهذه الكلمة». (مقدادي، ١٣٧٨، ص ٣٠) وقال موكه عن السمة الخاصة لـ«آبيروني» بما يلي: «الفرق بين ما يقولونه وبين ما يفكرون فيه، وبين ما هو متخيل وما هو حقيقي» (موكه، ١٣٨٩، ص ١٥).

غالباً ما تُستخدَم الـ«آبيروني» بمعنى إخفاء أو إبقاء الموضوع أو النقطة الرئيسية طيّ الكتمان، لكن الغرض الرئيسي من هذا الاستخدام ليس الخداع فقط، بل إضافة على هذا، فالغرض الأصلي عبارة عن الاستخدام الفني والبلاغي لتوصيل الرسالة. (قاسم زاده وآخرون، ص ٣٢٠). وأخيراً لا بد أن نقول: «إنّ الـ«آبيروني» فنّ بلاغي وأسلوب حوارى يختلف فيه معظم الكلمات والمعاني عن بعضها البعض؛ بحيث يكون وجود تعارض دلالي في الكلمة أو العبارة هو محور اهتمام فن آبيروني. (آرين بور، ١٣٧٢، ص ٣٦).

أنواع الآبيروني

وبحسب التعريف المذكور لـ«آبيروني»، وهو الصراع بين اللغة والفكر أو الصراع بين الخيال والواقع، ينشأ في النص نوعان من الـ«آبيروني»: آبيروني اللفظي أو المعجمي، وآبيروني البنيوي أو الظرفي. وفي كلا النوعين من الـ«آبيروني» هناك نوع من التعبير غير المباشر الذي يسبب الغموض والازدواجية في الكلمة أو البنية (مكاريك، ٢٠١٨، ص ١٤-١٦).

الف) آبيروني اللفظية

«آبيروني الكلامي» هو الفرق بين التعبير والهدف الذي

وتقوم بأشياء ليست في صالحها من وجهة نظر المشاهد أو القارئ وتعطي النتيجة المعاكسة التي تتوقعها.

ب-٢) آيروني الموقع

«آيروني الموقع» يتم استخدامه عندما يكون هناك تناقض أو عدم تطابق بين ما يحدث وما هو متوقع. «بناء على ذلك، فإن «آيروني الموقع» عبارة عن التناقض بين الهدف والنتيجة» (آقاحسيني وزينالي، ص ١١٤)

ب-٣) آيروني الراديكالية

«آيروني الراديكالية» هو أن يستدل المتحدث بطريقة تؤدي إلى تفنيد كلامه. (غلامحسين زاده، ١٣٨٨، ص ٧٦١).

ب-٤) آيروني القدرية

يعتبر البعض أن الخليقة بأكملها نتيجة لسخرية القدر الإلهي. فالله هو خالق هذه السخرية، لأنه قد وضع للجميع قدراً وينظر من السموات العلى إلى ملاعبة الخلاق ويعلم أنهم لا يلعبون إلا دوراً في هذه اللعبة المزيفة وهو وحده الذي يعلم نهاية العمل. (آقاحسيني وزينالي، ص ١٠٤) هذا النوع من الآيروني هو «آيروني القدرية» والذي يظهر في أعمال شعراء مثل الخيام وحافظ؛ الذين يؤمنون بالجبر (مشرف، ١٣٤٩، ص ١٧٦).

تحليل لغة الآيروني في خطب نهج البلاغة

ألقيت حُطْبُ نهج البلاغة في الكوفة خلال فترة خلافة أمير المؤمنين علي (ع) التي استمرت خمس سنوات. تعتبر فترة حكم الإمام من أكثر الفترات اضطراباً بعد الإسلام. الحروب المتوالية والمؤامرات وعدم التزام الكامل بالدين من قبل الناس وسذاجة بعض أصحاب الإمام، وذكاء وخداع أعدائه، خلقت أجواء ثقيلة، وكان الإمام يشكو من أصحابه باستمرار ومن سببي هذه الفوضى. (مطهرى، ١٣٨٩ ش، ص ٢٥)

ويعتبر ابن أبي الحديد أنّ أمير المؤمنين هو إمام الفصحاء وسيد البلغاء، ويصف مستوي بلاغة كلام الإمام (ع) بأنه «دون كلان الخالق وفوق كلام المخلوق».

(ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ ق، ج ٢٠، ص ٣٤٩).

وبناء على الدراسات التي أجريت حول نهج البلاغة تبين أن هناك عدة أنواع من الآيروني ذات خصائص خاصة في كلام الإمام علي (ع) ويمكن تصنيف مجموعتها تحت نوعين من الآيروني اللفظية والآيروني الهيكلية كما هو موضّح أدناه.

أنواع الآيروني اللفظية في نهج البلاغة

استخدام الجمل المتناقضة

ومن الأساليب التعبيرية التي استخدمها الإمام علي (ع) بمهارة فنية عظيمة، وأحسن استخدامها في كلامه، هي استخدام الفن الجمل المتناقضة، وربما كان بسبب مهارته في هذه التقنية قالوا: علي (ع) جامع للأضداد. (رائي، ١٣٨٣ ش، ص ١٢).

على سبيل المثال، إن الإمام (ع) يأمر أقاربه بصلة الرّحم: «أَلَا لَا يَغْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أُمْسَكُهُ وَلَا يَنْفُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ وَمَنْ يَفْضُ يَدُهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلِنَ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ» (خطبة ٢٣).

ولتحليل هذه الكلمة ينبغي أن يقال إنه وإن كان يبدو أن المال يزداد بعدم إنفاقه وتقص بإنفاقها، إلا أن كلام الإمام يقول عكس ذلك. وهذا يعني أنّ القصية ترتبط بالجانب الروحي، أي الشعور بالنقص في الحياة، وليس النقص الظاهر أو الزيادة. وينشأ هنا نوع من الآيروني اللفظية مع التناقض بين الكلمة والمعنى.

وفي موضع آخر يقول الإمام في ذم أهل الكوفة: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَأَتْنَتَيْنِ صُمْ دَوُو أَسْمَاعِ وَبُكْمٌ دَوُو كَلَامٍ وَعُمِّي دَوُو أَبْصَارٍ» (خطبة ٩٧). إنّ وضع الكلمات المتضادة في هذه العبارة بجانب بعضها البعض يخلق السخرية والتناقض.

وأيضاً، في بعض الحالات، حاول حضرة علي (ع) أن ينقل مفهوماً خاصاً ومريراً في نفس الوقت، إلى الجمهور، وذلك باستخدام كلمات متضادة. وكمثال لذلك، يقول الإمام في إدانة وتوبيخ علماء الضلال

ج ٧، ص ٧٣).

وكمثال آخر أيضاً يمكن أن نذكر الكلمات التالية التي قالها في ذمّ أهل البصرة: «كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبِكَاؤَ الْعَمْدَةَ، وَالْيَبَابَ الْمُتَدَاعِيَةَ، كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ، هَتَّكَتْ مِنْ أُخْرَى. أَكُلَّمَا أَظَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ، أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ الْجَحَارُ الصَّبَّاءُ فِي جُحْرِهَا» (خطبة ٦٩).

إنّ إيقاع وموسيقى هذه الخطبة هي إيقاع وموسيقى الخطب العاطفية والمريرة التي ألقاها الإمام بعد أن رأى شجاعة ويسالة جنود معاوية وبرودة واللامبالاة في مجموعة من جنوده أمام جرائم الشاميين. (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ق، ج ٣، ص ١٣٣).

ويصف أيضاً في الخطبة الشقشقية حال الأشخاص الذين أتوا إليه للبيعة: «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ [إِلَيَّ] كَعُرْفِ الصَّبْعِ إِلَيَّ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ» (خطبة ٣). وهنا يشار إلى كثرة الناس بعبارة «كَعُرْفِ الصَّبْعِ» وهو يتعمد على استخدام هذه العبارة الملقطة للتعبير عن الحجم الكبير للناس وازدحامهم للبيعة.

أنواع الآيروي الهيكلية في نهج البلاغة نوع آخر من الآيروي هو آيروي الهيكلية، بمعنى أنه بدلاً من استخدام الكلمات المتضادة، يقوم المؤلف بتضمين شبكة مفاهيمية في بنية العمل، مما يؤثر على العمل بأكمله بالتباين والغموض والإيهام. في هذا النوع من الآيروي، وهو النوع الأكثر بلاغة وتعقيداً، يقوم المؤلف بتغيير النص وانتقال الكلمات من مكان إلى آخر بذكاء، ويتعمد استخدام جمل ظاهرية خاطئة أو غير صحيحة لنقل معنى جديد ومهم للقارئ.

وفي بعض الحالات قد يحاول المؤلف عمداً التنبؤ أو التكهن، أو في بعض الحالات يحاول المساواة بين شيئين متناقضين ومتضادين لكي يحفز ذهن القارئ وجمهوره، وبالتالي تُسمع المخاطب رسالته المهمة أكثر بلاغةً وأعمق تأثيراً.

التعبير عن أشياء غير متوقعة

يُعَدُّ التعبير عن الأشياء غير المتوقعة في الكلام، إحدى

البارزين الذين يصبون الفخاخ في طرق الناس ويستخدمون الألفاظ الباطلة والحيل والأكاذيب لتضليلهم واستغلال مشاعرهم الروحية للحصول على منافعهم المادية: «فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ وَقَدْ لِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ» (خطبة ٨٧). أستخدم في هذا النص «الآيروي اللفظية» من نوع الجمل المتناقضة للتعبير عن الحقيقة ونهاية حياة الإنسان، لأن الحياة والموت لا يجتمعان في مكان واحد.

في جملة «لِلَّهِ أُبُوهُمُ . . .» (خطبة ٢٧) التي وردت في خطبة الأشباح، فقد استخدم الإمام أيضاً عبارة تخالف غرضه الشخصي ويقصد به عكسه، لأننا هنا نتحدث عن أهل الكوفة الذين يشتكى منهم الإمام على (ع)، وليس قصده الدعاء عليهم، وبالتالي لها معنى غير معناها الظاهر (بحراني، ١٣٧٥ش، ج ٢، ص ٨٦).

استخدام الكلمات القارعة والصادمة

وفي كثير من الحالات، نرى أن حضرة علي (ع) كان يوبّخ قومه ومعارضيه بكلمات قاسية حتى ينتهبوا ويعرفوا طريقهم ووجهتهم الخاطئة. ومثال ذلك أنه في خطبة الأشباح أدان أهل الكوفة بشدة فقال: «يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ حُلُومِ الْأَطْفَالِ وَعُقُوفُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُبْكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا» (خطبة ٢٧) وقال في موضع آخر: «تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاؤُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّيْ بِكُمْ فِيمَا إِحَالِكُمْ» (خطبة ٩٧).

وهذا التشبيه تفسير واضح لجهل أهل الكوفة وعدم انضباطهم، لأنه يشبههم بالحيوان أولاً ثم بعدم امتلاكهم الكلام النافذ. ومن الواضح أنه من الممكن جمع الآبال بالرعاة، ولكن أهل الكوفة لا يستمعون لدعوة الداعي، ولهذا السبب إذا أراد شخص أن يجمعهم فلن يحقق هدفه (سوشتری، ١٣٧٦، ج ١٠، ص ٥١٩).

يجدر بالذكر أنّ كلمة «تربت» من مادّة «تراب» بمعنى التراب، و«تربت أيدىكم» في الأساس، هذا يعني أن يداك متوسّختان بالتراب (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ق،

العبارة في حالات كثيرة مثل: «مَثَلَكُمْ وَمَثَلُهَا كَسْفَرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّكُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَأَمُوا عِلْمًا» (خطبة ٩٩).

يحاول الإمام (ع) في هذه الخطبة أن يحثَّ الناس على الزهد في الدنيا بعبارات مؤثرة وثاقبة، كما يحاول أن يجسّد تفاهة العالم بعبارات لطيفة وديناميكية. لذلك فهو بذكر تشبيه بليغ يوضّح أحوال سُكَّانِ العالم، وهو ما يعبر عن حقيقة عدم استقرار العالم وعدم الاعتداد به (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦ ش، ج ٤، ص ٣٤٠).

ففي عبارة «أَقْتُوَكُمْ عُذْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَيَّةِ عَجَزَ الْمُقْوَمُ وَأَعْضَلَ الْمُقْوَمُ» (خطبة ٩٧) أيضاً، في توبيخه للكوفيين، شبههم الإمام (ع) بالقوس الذي لا يستقيم، ولكن الإمام يتوقع أن يهديهم إلى الطريق الصحيح بالنصائح اليومية، لكن توقعه لا يتحقق. . ولهذا السبب يتابع ويضيف: «وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِمَا وَأَصْبَحَتْ أَحَافُ ظُلْمِ رَعِيَّتِي» (خطبة ٩٧) مما يدل على أنه خلافاً للتاريخ الذي يدل على أنّ الناس دائماً يعانون من أيدي حكامهم وهذا أمر متوقع وطبيعي، لكن الآن ظهرت حالة أصبح فيها الإمام (ع) الحاكم مضطهداً من قبل رعيته وشعبه!

لقد كانت الأمم عبر التاريخ في خوف وقلق من حكوماتها الاستبدادية وبطشها، بشكل يعتبر هذا أمراً طبيعياً، لكن هذه القضية تغيرت في حالة الإمام علي (ع) لأنه لم يكن أحد يخاف من قسوته وظلمه، بل كان الإمام يقلق باستمرار من مخالفة الناس وعدم الولاء والمؤامرات والتصرفات الخاطئة لأصحابه، ولهذا السبب ومن أجل استفزازهم، يخاطبهم بعبارات مؤثرة تحرك كل غيور ويقول: «أَشْهُودُ كَعُيْبَابَ وَعَيْبِدُ كَأَرْبَابَ».

وفي بعض الأحيان يشير الإمام (ع) إلى فترة الخلفاء السابقين، حيث كان الفساد المالي كبيراً وكان الناس يتوقعون أن يظل الأمر على هذا النحو، لكن الإمام يلومهم على ذلك وينصحهم للتوقف عن الانتظار الغير المجدي: «فَمَا اخْلَوْلْتُ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَدَّتْهَا وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ [بَعْدِهِ] بَعْدَ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامِهَا قَلِقًا وَضِيئِهَا قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ

حالات آيروني الهيكلية أو البنيوية. وهذه الحالة أيضاً لها أمثلة كثيرة في نهج البلاغة، بحيث يكون الأمر المذكور أحياناً مخالفاً لتوقع الإمام، وأحياناً يكون مخالفاً لتوقع الناس. يقول الإمام في الخطبة الششققية: «جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ رَزَعَمَ أَبِي مِنْهُمْ فَيَا لَلشُّورَى مَتَى اغْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صَبْرْتُ أُقْرُنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ» (خطبة ٣).

ويشير هنا إلى مجلس «ستة أشخاص» الذي تم تشكيله لتعيين الخليفة، وحاولوا تقديم الإمام كأحد هؤلاء الأشخاص الستة، لكن على عكس توقعات قادة هذا المجلس، انفصل عنهم الإمام (ع) وقدم نفسه أعلى وأرفع منزلة منهم. والدليل على ذلك يمكن الإشارة إلى القسم الأخير من كلام الإمام (ع) الذي تكلم فيه عن أمثال عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير بالضمير الغائب ولم يذكر أسمائهم في كلامه مطلقاً.

وتجدر الإشارة إلى أن التعبير بـ«رَزَعَمَ أَبِي أَحَدُهُمْ» يحتمل معنيين: الأول: أنه أدخلني في الظاهر كأحد المرشحين للخلافة، وهو يعلم في الباطن ما ستكون النتيجة ومن سيخرج من هذا المجلس. والأمر الآخر أنه تظاهر بأنني مساوٍ لهؤلاء الخمسة، بينما في الداخل كان يعلم أنني لا أقارن بأبي منهم. (مكارم شيرازي، ١٣٨٦ ش، ج ١، ص ٣٧٨). وقد جاء في كتاب «مقاييس اللغة» أن أحد المعنيين الرئيسيين لـ«زعم» هو قول لا حقيقة له والمتكلم لا يوقن به. (ابن فارس، ١٣٨٩ ق، ج ١، ص ٧٨١).

و يقول الإمام في العبارة التالية: «فَبُئِستِ الدَّائِرُ لِمَنْ لَمْ يَتَهَيَّئِهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ»، (خطبة ١١١). يبدو أن العالم مكان جيد للأشخاص المتفائلين كما هو مخيف لمن يخاف، لكن من وجهة نظر أخرى، فإن الشخص المتفائل لا يتطلع إلى المستقبل وخلافاً لتوقعاته، فالعالم ليس أبدياً، وفي يوم من الأيام سوف يندم على تعلقه به. ففي هذا الكلام أيضاً، تم تقديم أمر شائع من وجهة نظر الناس في صوغ أمر غير متوقع لهم، وذلك، ليدرك الجمهور نظرهم الخاطئة إلى العالم ويبدلوا المزيد من الجهود لجمع الزاد للأخرة. وقد تم التعبير عن مثل هذه

الأيام الأولى بعد البيعة، وحذر الناس أولاً من أن نخونوا قادتهم، ويحافظوا على وحدة صفوفهم، ويجتنبوا ما يسبب الفقرة، ثم ذكر الجمل السابقة لتأكيد هذا المعنى. هناك جدل بين العلماء حول المقصود من مشاهدة الأشياء التي تُكشَفُ للإنسان بعد كشف حجاب الجسد ورؤية عيون القلب ورؤية عوالم ما بعد الموت؟ مما يوقع الإنسان في حالة من الخوف والقلق ويجعله يبكي. لكن من المؤكد أن الإنسان في تلك الحالة ينزعج بشدة من أمرين؛ أولاً: أن يرى نتائج أفعاله أمامه، ويلاحظ ما ينتظره من عقوبات. ثانياً: أن يندم على تقصيره في الماضي، والذي كان بإمكانه أن يجتنب منه لو استفاد من رأس مال العُمر والتسهيلات التي رزقه الله لكي يصل إلى قمة السعادة ويدخل إلى ملكوت الله والقرب منه. لكنه أضاع كل هذه الفرص. والأدهى والأمرُّ من ذلك كله أنه لا سبيل للعودة. (بحراني، ١٣٧٥ش، ج ١، صص ٦٥٤-٦٤٩).

وأيضاً في العبارة الشهيرة من خطبة الشفعية يقول: «أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَلِي عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَتَّقِي إِلَيَّ الطَّيْرُ» (خطبة ٣) كما أنَّ الإمام يتحدث عن اغتصاب الخلافة دون أن يذكر أحداً، وذلك بالإيجاز والكناية والتشبيه. ولم يذكر حتى الحكومة. إن لبس القميص هذا، الذي كان من حق الإمام، لا يدل إلا على الحكومة، لكن كلام الإمام لا يقول مثل هذا. ولذلك فإن وجه الآيروني في هذا الكلام هو إخفاء الكلام. أيضاً حيث يقول: «لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا» (خطبة ٣) وهي كناية عن استخدام الخليفين الأولين للحكم، وهنا مرة أخرى تم التستر حتى يتحمل الناس سماع ذلك. (خوئي، ١٤٢٩ق، ج ٣، ص ٤٧).

التجاهل الواعي

إنَّ «تجاهل العارف» رغم أنها من المواضيع الشائعة في البديع المعنوي، إلا أنها يُعَدُّ أيضاً من صناعات الآيروني البنيوية. التجاهل هو من باب التفاعل، بمعنى التظاهر بالجهل (بهر مند، ١٣٨٩ش، ص ٢٢). وبعبارة أخرى، فإن المتكلم يتساءل عن أمر معلوم كما يسأل عن أمر مجهول، مع أنه يعرف الشيء ولكنه يتجاهله في التعبير

بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ وَحَلَالُهَا بَعِيداً عَنِّي مَوْجُودٌ وَصَادَقْتُمُوهَا» (خطبة ١٠٥).

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الجزء من الخطبة هو استمرار لما وجهه الإمام علي (ع) إلى الأمويين وذكر اسمهم بصراحة، ولكن بما أن السيد الرضي قصد اختيار أجزاء معينة من خطب الإمام، لم يذكر القسم الأول من الخطبة في نهج البلاغة (خوئي، ١٤٢٩ق، ج ٧، ص ٢١٦).

وهنا يذكر الإمام الفساد الاقتصادي في عهد عثمان وإسراف بيت المال، ويقول للناس إنكم حققتم مُتَعَّ الدنيا وروعتها بالمال الحرام، وهذا جعلكم تبتعدون عن الله، ووصل الأمر إلى حد أن المال الحرام كان في نظر جماعة مثل شجرة السدر المخضود لا شوك فيها، وكان حلالها بعيداً وغير موجود.

فهنا التعبير بـ «السِّدْرِ الْمَخْضُودِ» يعني أنَّ محرمات الله ونواهيه مثل الشوك أمام ملذات الدنيا غير المشروعة، أما الذين لا يراعون المحرمات ويتجاهلون أوامر الله، فالحرم بالنسبة لهم كشجرة السدر التي لا شوك فيها. جاء في القاموس أن هناك أنواعاً مختلفة من شجر الشدر؛ بعضٌ منها لها ثمر حلو ورائحة معطرة جداً تتلطف برائحتها أيدي وملابس من يأكله. (ابن منظور، ١٤٠٨ق، ج ٤، ص ٤٧).

الإخفاء المتعمد لموضوع الكلام

حالة أخرى من الآيروني البنيوية هي الإخفاء المتعمد في الكلام، وهو ما يعني أن المتحدث يتعمد إخفاء شيء ما ولا يقوله، ولكنه يقصد نفس الشيء. وهذا نجده في كثير من كلام الامام علي (ع). مثل عبارة: «فَإِنَّكُمْ لَوُ عَايِنْتُمْ مَا عَايِنْتُمْ مَن قَدْ مَاتَ مِنْكُمْ مِمَّنْ خَالَفَ مَا قَدْ تُدَعَوْنَ إِلَيْهِ لَبَدْرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ وَكَسَمِعْتُمْ وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايِنُوا وَقَرِيباً مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ» (خطبة ٢٠) لقد لجأ إلى التكتف وخلق نوعاً من الغموض في الكلام من خلال بيان المسائل خلف ستار يوم القيامة، وقوله «فَإِنَّكُمْ لَوُ عَايِنْتُمْ» يعني أن الإمام علي (ع) نفسه يعلم بهذا الأمر، ولكنهم لا يقوله بشكل مباشر، وذلك ليُلفت انتباه الناس إليه ويفكروا فيه. وقد يُستفاد من بعض الروايات أن الإمام قال ذلك في

عنه وتقديمه. (هدايت، ١٣٥٥ ش، ج ١، ص ٩٠).

يندرج هذا الفن ضمن أسلوب التشبيه ويستخدم عندما يريدون إظهار عدم العلم بإسناد أمر إلى آخر أو في تمييز شيئين مختلفين عن بعضهما البعض، وعادة ما تكون طريقة التعبير عنه في شكل سؤال بلاغي، كما يتم أحياناً عن طريق استخدام الأفعال المنفية مثل "لا أعرف" و"لم أفهم" فيكون في عمقها تشبيهاً ضمناً (شميسا، ١٣٨٣ ش، ص ٩٩).

وبالطبع فإن بعض المفكرين لا يعجبهم عنوان التجاهل، وذلك لوجود هذه الصنعة في الكلام الإلهي. على سبيل المثال، يُعبر عنه السكاكي بـ «سوقُ المعلوم مساقٍ غيره لنكتة» بمعنى «أن يُروى أمرٌ معلومٌ بطريقة مجهولة للتعبير عن نكتة» (سكاكي، ١٤٠٣ ق، ج ١، ص ٢٢٧).

وقد استخدم الإمام علي (ع) أيضاً هذه الصنعة مراراً وتكراراً في خطابه. كما في عبارة: «بَلْ كَيْفَ يَتَوَقَّى الْجَيْنَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَيْ يَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا» (خطبة ١١٢). ويسأل الإمام عن كيفية قبض روح الجنين في بطن أمه، ونحن نعلم أن هذا السؤال من الإمام هو من باب تجاهل العارف. وفي هذا البيان فإن قول الحق والحقيقة، وهو أن يستجيب الجنين دعوة ملك الموت بأمر ربه، يقع في وسط جميع الاحتمالات المذكورة، ليندهش الجاهل ويتردد في هذه الأثناء ويحاول معرفة الحقيقة. ويتابع الامام علي (ع) - بعد أن وضح أنّ الإنسان لا يستطيع وصف ملك الموت ومعرفة عظمة الله تجاه ذلك الملك - فيقول: «كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجُرُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ». ويمكن تلخيص هذا الأمر بما يلي وهو، بحسب ما وضحناه عن ملك الموت وحالته، فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يعرف مخلوقاً مثله، ومن لا يستطيع أن يعرف مخلوقاً مثله، فهو أعجز من أن يصف خالقه ومنشئه.

الفخر من أجل تذكّر التاريخ

وكما ورد في قسم تعريف الأيروني، هناك نوع آخر من الأيروني البنيوية وهو مدح النفس، على نحو لا يمل

المستمع فحسب، بل إنه باستحضار تلك الفضيلة والأحداث التاريخية يعطى للمتكلم الحق ويقبل الطلب. في كثير من الأحيان، يستخدم الإمام علي (ع) أحاديث نبي الإسلام (ص) عن نفسه وعائلته، وفضلاً عن التذكير بالأحداث التاريخية، التي كلها تعبر عن فضائله، فهو يمدح نفسه لتوعية المخاطب بالأحداث التاريخية الماضية وإخبارهم بالحقيقة. على سبيل المثال، يقول: «أَنَّهَا النَّاسُ فَلَيْتِي فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِي عَلَيَّهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاحَ غَيْبُهَا وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا» (خطبه ٩٣). تشير هذه الخطبة إلى قصة معركة النهروان والمواجهة مع الخوارج المتدينين ظاهرياً، حيث إن كثيراً من المسلمين عندما رأوا تهجدهم وعبادتهم ارتابوا وأعرضوا عن المواجهة العسكرية معهم. (مكارم شيرازي، ١٣٨٦ ش، ج ٤، صص ٢٢٧-٢١٥).

إنّ التعبير بـ «عَيْنَ الْفِتْنَةِ» يدلّ على أنّ الإمام (ع) شبّه الفتنة بوحش رهيب كلما أعميت عينه تؤخذ منه قوة النشاط. (بحراني، ١٣٧٥ ش، ج ٢، ص ٨١٥) وفيه إشارة أيضاً إلى أن الإمام (ع) في محاربة الفتن كان يتجه إلى المركز الرئيسي للفتنة والمؤامرة، وليس الفروع، لأنه عندما يتفكك مركز الفتنة، سوف تتفكك بقية أتباع وأنصار الفتنة تلقائياً، وهذه هي الطريقة الأمثل للقضاء على الفتن بأقل الخسائر. (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ ق، ج ٣، ص ٣٦٠).

كما أن الإمام علي (ع) قد أشار إلى بعض محاسنه وفضائله في كثير من مواضع خطبه وذكر أنه من آل بيت النبوة الطاهرين وأنهم مصدر العلم والحكمة ورحمة الله: «نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبَوَّةِ وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَعَدُوُّنَا وَمُنْبَغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ» (خطبة ١٠٩). إن التعبير عن هذه الجمل لا يعتبر مدحاً للذات لأن هذه الفضائل لا يمكن أن تتحقق لكل إنسان وهذه الصفات لم تظهر إلا في شخصه المميز وأبنائه المعصومين. (مكارم شيرازي، ١٣٨٦ ش، ج ٤، ص ٦١٥). كلمة «سطوة» في الأصل بمعنى القفز على شخص وإخضاعه. (بحراني، ١٣٧٥ ش، ج ٣، ص ١٢٥؛ ابن منظور، ١٤٠٨ ق، ج ٥، ص ٨٤).

اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة» (خطبه ٥) و«اتخذوا الشيطان لأمهم ملاكاً واتخذهم له شركاءً فباص وفرح في صدورهم وذب ودرج في حجورهم فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم» (خطبة ٧).

المساواة بين الشيعين المتباينين

هناك نوع آخر من الآيروي النبوية وهو مقارنة شيعين مختلفين تمامًا مع بعضهما البعض والمساواة بينهما، حتى يتمكن المخاطب من فهم الفرق والتناقض بين هذين الأمرين في ذهن المؤلف والمتحدث. عادة ما يستخدم الإمام (ع) مثل هذه العبارات عند الحديث عن الدنيا والخلافة، لأن الخلافة والدنيا أمران مهمان وثمانان جداً في نظر الناس، لكن الإمام (ع) وضعه في مرتبة أدنى من الدنيا. وقد اعتبرها أدنى من ماء أنف العنزة: «دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَمَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ» (خطبة ٣) وفي مكان آخر، يعتبر الدنيا أقل قيمة من القش اليباس وفضلات الرعاة: «فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَضْعَرَ فِي أَغْمِيكُمْ مِنْ حَمَالَةِ الْقُرْصِ وَقُرَاصَةِ الشَّلْجِمِ وَأَتْعَطُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِطَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَأَرْفُضُوهَا دَمِيمَةً» (خطبة ٣٢). وهذا الجزء من كلام الإمام (ع) هو تكملة للخطبة التي يُقَسِّم فيها طلاب الدنيا إلى أربع أقسام، التي توجد في كل عصر وزمان: الفاسدون غير الأكفاء، والطغاة الأقوياء، والديويون المنافقون. عباد الدنيا المنافقون، والزهاد الكاذبون. وهذه الفئات الأربعة تشتركون من حيث الفساد الداخلي، وفساد العقيدة والتعلق بالدنيا والمكان والمنصب، والفرق بين هؤلاء الأطياف فقط في الثروة الحيوانية وتوافر الوسائل لتحقيق هذا الهدف. (مكارم شيرازي، ١٣٨٦ش، ج ٢، صص ٢٧٨-٢٥٨؛ بحراني، ١٣٧٥ش، ج ٢، ص ١٤٧).

وأيضاً، في التعبير عن الاهتمام بالموت، استخدم هذه العبارة التي تبدو مبالغاً فيها، والتي من الغريب جداً مساواة الرغبة بين كليهما (مساواة رغبة الإنسان بالموت ورغبة الطفل بثدي أمه) من وجهة نظر الأشخاص العاديين والأدكياء: «فَإِنْ أَقْلٌ يُقُولُوا حَرَّصَ عَلَى الْمُلْكِ وَإِنْ أَسْكُتُ يُقُولُوا جَرَعَ مِنَ الْمَوْتِ! هَيْهَاتَ، بَعْدَ اللَّتْيَا وَالْتِي، وَاللَّهِ لَا تَبُؤُ أَبِي طَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الْوَلَدِ

بالطبع في بعض الحالات لم يذكر إلا فضائل خاصة بهم والتي لا يشاركه فيها أحد، ومنها كونه أول مسلم، وأول من أجاب دعوة نبي الإسلام (ص) يوم الإنذار، والنوم على فراش النبي في ليلة المبيت وحالات أخرى كثيرة، ومن أمثلتها العبارة التالية: «كُنْ يُسْرِعُ أَحَدَ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ وَصَلَّةٍ رَحِمَ وَعَائِدَةٍ كَرَمٍ» (خطبة ١٣٩). هذه العبارات هي جزء من كلام الامام علي (ع) عندما شكّل مجلس من ستة أشخاص لاختيار الخليفة الثالث.

الإخبار عن الغيب لتحذير الجمهور

حالة أخرى من الآيروي النبوية هي العرافة والإخبار عن المستقبل، فإذا لوحظت هذه الحالة في الناس العاديين أو الشعراء، فإنها ستعتبر نوعاً من «التكهن» أو «التطلع إلى المستقبل» لكن إذا كان هذا على لسان أهل العلم والحكماء، لاسيما إذا كانوا أنبياء أو الأئمة الطاهرين، فهو «الإخبار عن الغيب»؛ الذي صدر بعلم الغيب والحكمة الإلهية. والأمثلة على حدوث هذه الصنعة الأدبية كثيرة في خطب الإمام علي (ع)، خاصة عندما تحدّث عن الحكومات القمعية التي ستسيطر على المجتمع في المستقبل. على سبيل المثال، في المقاطع التالية، حاول الإمام علي (ع) المبالغة في التشبيهاً الآيرونية حتى يخاف المستمع ويحاول تجنب مثل هذا المستقبل الصعب والمؤلم. وهذا كلام الإمام: «رَأَيْتُمْ ضَالَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا. . . فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَالَةٌ كَتُفَالَةِ الْقَيْدِ أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِجَمِ» (خطبة ١٠٨).

ورغم أن الأخبار تتعلق بأحداث المستقبل، إلا أنه استخدم الفعل الماضي، وذلك للدلالة على أن هذا المخطط والمصير سيحدث حتماً، كما جاء في القول المشهور أن الفعل المضارع الذي يتحقق حدوثه، هو بمنزلة الفعل الماضي. (خوئي، ١٤٢٩ق، ج ٧، ص ٢٩٦).

وفي حالات أخرى، تحدّث الإمام (ع) عن مستقبل الأفراد والجماعات باستخدام علمه الغيبي، ووجه لهم التحذيرات اللازمة لاتباع الطريق الصحيح والرجوع عن الطريق الخاطيء والباطل، ومن الأمثلة على ذلك: «بَلْ أَنْدَجْتُ عَلَى مَكْتُونٍ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطَرَّتُمْ

يسعى فن «الأيروني» الأدبي والبلاغي إلى التعبير عن المفاهيم المهمة والعميقة للجمهور مع التعبير عن الحقائق المرة والمؤلمة بأدب مقلوب أو فكاهي ظاهرياً. يُطلق في معرفة الأدب واللسانيات، على هذا الأسلوب في التحدث اسم "قلب المعنى" أيضاً.

ويبين تحليل موضوعات كلام الإمام في نصح البلاغة أنه حاول إيصال رسائل اجتماعية وأخلاقية مهمة بأدب بليغ ولكن مختلف ومُلفت للنظر، وذلك باستخدام فن الأيروني في شقيه اللفظي والبنوي.

وفي القسم اللفظي، حاول الإمام (ع) تحذير جمهوره وإطلاعهم على شؤون المجتمع الاجتماعية والسياسية وذلك باستخدام جمل متناقضة وصادمة، وحاول أن يوقظ العقل والتفكير فيهم.

في الجزء البنوي، باستخدام التعبير عن الأشياء المخالفة لتوقعات الناس، وتعتمد إخفاء موضوع الكلام، والتجاهل عن عمد، والثناء على النفس للتعبير عن الحقائق التاريخية، والتكهن والمساواة بين القضايا غير المتجانسة، حاول توعية جمهورهم حول قضايا المجتمع الهامة والحيوية، وهي في معظمها قضايا سياسية واجتماعية، وأحياناً تكون قضايا دينية وعبادية. لقد كان الغرض الرئيسي للإمام في هذا القسم، وخاصة أثناء مدح الذات والتحدث عن الأمور الغيبية، هو تذكّر الأحداث التاريخية الماضية واكتشاف الحقيقة، حتى يمكن التّعرف بهذه الطريقة على الحقائق الإسلامية التاريخية المغفولة.

يُبدى أُمّه» (خطبة ٥). وتجدد الإشارة إلى أن ابن أبي الحديد في تعليقه على نصح البلاغة، في بعض الأحيان، يشير إلى نماذج بلاغة فائقة لكلام الإمام علي (ع)، ويحتج بها على صحة إصدار هذه الكلمات والخطب منه. على سبيل المثال، يكتب في ذيل هذا الجزء من الخطبة ٥: «إن كل إنسان مطلع على فن الخطابة، والذي تراكت لديه المعرفة بعلم التعبير، وله ذوق سليم، وهو ذو خبرة في هذا المجال، يعرف بلا شك الفرق بين الكلام الركيك والفصيح، والكلام الفصيح والأفصيح. عندما يواجه مثل هذا الشخص كلام كاتبين، فإنه بالتأكيد سيلاحظ الفرق في أسلوبهما. . . وأما نصح البلاغة فإذا تأملته رأيته على نمط واحد، يحكمه أسلوب واحد، ولا يتعارض جزء منه مع جزء آخر. وإذا كانت بعض أجزاء هذا الكتاب المنسوب إلى علي (ع) صحيحة وبعضه الآخر مجعولاً، لم يكن هناك انسجام واتساق واحد في أسلوب هذا الكتاب. وبهذه الحجة الواضحة ينكشف خطأ من يعتبر نصح البلاغة كله أو بعضه كذبا و مجعولاً». (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ق، ج ١٠، صص ١٢٨-١٢٩)

الخاتمة والاستنتاجات

إنّ الاهتمام المتزامن بعمق المعنى، وتطبيق التقنيات الأدبية والبلاغية يُعدّ من جوانب الإعجاز الأدبي في كلام الإمام علي؛ والذي لم يجمع في نصح البلاغة سوى جزء يسير منه. ومن الفنون الأدبية والبلاغية المستخدمة في كلام الإمام علي (ع) المنير والحكيم هو "الأيروني".

المصادر

القرآن الكريم.

آبرامز، ايغناس (١٣٨٠ش)، قاموس المصطلحات اللغوية، طهران: صبح صادق.

آرين بور، يحيى، (١٣٧٢ش)، من صبا إلى نيماء، طهران: جليشن.

آقازينالي، زهرا؛ آقاحسيني، حسين، (١٣٨٦ش)، «مقارنة تحليلية بين الأيروني والكنائية في الأدب الفارسي والإنجليزي»، مجلة الأبحاث، سنة ٩، رقم ١٧.

آقازينالي، زهرا؛ آقاحسيني، حسين، (١٣٨٧ش)، «مقارنة

تحليلية لـ [أيروني] والسخرية في الأدب الفارسي والإنجليزي»، مجلة الأبحاث للغة الفارسية وآدابها، رقم ١٧، صص ٩٥-١٢٨.

ابن فارس، أحمد، (١٣٨٩ق)، مقاييس اللغة، بيروت: دارالجيل.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤٠٨ق)، لسان العرب، بيروت: دار احياء التراث.

ابن أبي الحديد، (١٣٣٧ق)، شرح نصح البلاغة، قم: مكتبة مرعشي النجفي.

- محمد دشتي، قم: دارالهجرة.
- أحمدى، شهرام؛ شفيعى آكردى، نرگس، (١٣٩٦ش)، «دراسة وتحليل الأنواع البارزة لاستخدام الآيروي في المثنوي»، اللغة والأدب الفارسي، رقم ٨٣، صص ٧-٢٢.
- شميسا، سيروس، (١٣٨٣ش)، التعرف على الأنواع الأدبية (البيان والبديع)، طهران: دار ميتر.
- شوشترى، محمد تقى، (١٣٧٦ش)، نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، طهران: دار أميركبير.
- عندليب، على؛ فرع شيرازى، سيد حيدر؛ پورعابد، محمد جواد؛ زارع، ناصر، (١٤٠٠ش)، «تحليل المفاهيم القرآنية على أساس نموذج ياكوبسون الاتصالي مع التركيز على الإدراك الآيروي»، الأبحاث اللغوية في القرآن، رقم ٢٠، صص ١-١٩.
- حسين زاده، غلام، (١٣٨٨ش)، «آيروي في مقالات شمس»، المطالعات العرفاني، رقم ٩.
- قاسم زاده، سيد على؛ سعيد حاتمى، أحمد؛ محمودى، أشكورى، (١٣٩١ش)، «آيروي ووظيفتها في المنظومة الفكرية لناصر خسرو» المجلة المتخصصة في أسلوبية الشعر والنثر الفارسي، سنة ٥، رقم ٢.
- مجتبى، مجتبى، (١٣٨٠ش)، البديع الجديد، طهران: دار الكلمة.
- مشرف، مریم، (١٣٤٩ش)، أسلوب النقد الأدبي، طهران: دار الكلمة.
- مطهرى، مرتضى، (١٣٨٩ش)، جولة في نهج البلاغة، طهران: دار صدرا.
- مقدادى، بهرام، (١٣٧٨ش)، معجم مصطلحات النقد الأدبي من أفلاطون إلى يومنا هذا، طهران: دار الفكر المعاصر.
- مكارىك، ايرنا، (١٣٧٥ش)، موسوعة النظريات الأدبية المعاصرة، طهران: نشر الواعى.
- مكارم شيرازى، ناصر، (١٣٨٦ش)، رسالة الإمام أميرالمؤمنين (ع)، طهران: الإسلامية.
- موجه، داغلاس كالين، (١٣٨٩ش)، آيروي، ترجمة حسن افشار، طهران: دار مركز.
- هدايت، رضاقلی، (١٣٥٥ش)، مدارج البلاغة، شيراز: دار بهار.
- أردلانى، شمس، (١٣٩٥ش)، «تجليات آيروي في شعر حافظ»، النقد الأدبي والبلاغي، سنة ٥، رقم ١، صص ١٧١-١٨٨.
- أصفهاني، غلامرضا، (١٣٩٧ش)، «المستويات الثلاثة من سخريه سقراط في حوارات أفلاطون»، ميتافيزيك، رقم ٢٦، صص ٣٣-٥٠.
- أنوشه، حسن، (١٣٧٠ش)، موسوعة الأدب الفارسي، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد.
- أنوشه، حسن، (١٣٧٦ش)، موسوعة الأدب الفارسي، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد.
- بحراني، ميثم بن على، (١٣٧٥ش)، شرح نهج البلاغة، مشهد: آستان قس رضوى.
- بهره مند، زهرا، (١٣٨٩ش)، «آيروي واختلافها مع الفكاكة والصنائع البلاغية المشابهة»، البحث الأدبي للنصوص، رقم ٤٥، صص ٩-٣٦.
- بورنامداريان، تقى، (١٣٨٢ش)، المفقودون على طريق البحر، طهران: الكلمة.
- حسن بورالاشتي، حسين؛ باغبان، محمدعلى، (١٣٨٦ش)، «التناقض في قصايد خاقانى»، اللغة والأدب الفارسي، سنة ٥٠، رقم ٢٠.
- حلبى، على أصغر، (١٣٧٧ش)، تأريخ الفكاكة، طهران: بهبهانى.
- خائفى، عباس؛ تقى پور كندسر، شيماء، (١٣٩٥ش)، «الجوانب الآيرونية في المجالس السبعة للمولوي ومعارف بهاء ولد»، ربيع الكلمة، رقم ٣١، صص ١٢٧-١٤٢.
- خونى، ميرزا حبيب الله، (١٤٢٩ق)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، طهران: المكتبة الإسلامية.
- داد، سيماء، (١٣٨٣ش)، قاموس المصطلحات الأدبية، طهران: مرواريد.
- دشتى، على، (١٣٨٢ش)، ترجمة نهج البلاغة، طهران: دار كمال الملك.
- رائى، محسن، (١٣٨٣ش)، تأثير نهج البلاغة وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في الشعر الفارسي، طهران: دار أميركبير.
- سكاكى، يوسف، (١٤٠٣ق)، مفتاح العلوم، بيروت: دارالمعرفة.
- سيدرضى، أبو الحسن، (١٣٨٦ش)، نهج البلاغة، ترجمة:

گونه‌های استفاده از صنعت بلاغی «آیرونی» در نهج البلاغه

محمد عترت دوست^{۱*}، حسن زرنوشه فراهانی^۲

تاریخ پذیرش: ۱۴۰۱/۱۱/۰۶

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۲/۲۱

۱. استادیار گروه الهیات و معارف اسلامی، دانشگاه تربیت دبیر شهید رجایی، تهران، ایران

۲. استادیار گروه الهیات و معارف اسلامی، دانشگاه تربیت دبیر شهید رجایی، تهران، ایران

چکیده

یکی از وجوه اعجاز و بلاغت سخنان امام علی (ع)، چندبُعدی بودن آنهاست بدین معنا که کلام آن حضرت در عین برخورداری از صنایع و آرایه‌های مختلف ادبی و بلاغی، در میدان‌های مختلف و حتی متضاد معنایی نیز جلوه‌گر شده و کاربرست معنایی دوچندانی پیدا کرده است. نمونه تلاقی این دو مشخصه را می‌توان در کاربرست صنعت بلاغی «آیرونی» مشاهده نمود که برخی آن را «وارونه‌سازی» معنای واژه دانسته‌اند. آنچه در این آرایه بیشتر مورد توجه قرار می‌گیرد، قرار گرفتن دو عنصر متضاد معنایی - لفظی در کنار همدیگر برای غافلگیر کردن مخاطب و در عین حال القاء پیامی مهم است. در این مقاله تلاش شده ضمن ارائه تعریفی دقیق از صنعت بلاغی آیرونی، با شناسایی نمونه‌هایی از تجلی آن در خطبه‌های نهج البلاغه و تحلیل مفهومی چرایی استفاده از آن، جلوه دیگری از اعجاز لفظی و معنایی کلام امام علی (ع) را مورد توجه قرار داده و یکی دیگر از صنایع ادبی به کار رفته در نهج البلاغه را بازخوانی کنیم. یافته‌های تحقیق نشان می‌دهد صنعت آیرونی در دو نوع کلامی و ساختاری در نهج البلاغه کاربرست فراوانی داشته که بیان جملات متناقض نما، کلامهای کوبنده، پنهان کاری‌های عامدانه، خودستایی، غیب‌گویی، تجاهل آگاهانه و یکسان دانستن دو چیز ناهمگون، برخی از این موارد است.

کلیدواژه‌ها: نهج البلاغه، امام علی (ع)، بلاغت، آیرونی، وارونه‌سازی معنا.



COPYRIGHTS

© 2022 by the authors. Licensee PNU, Tehran, Iran. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY4.0) (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0>)